

حوار ثقافات أم صراع حضارات:

دراسة تحليلية لكتاب صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي لـ "صامويل هنتغتون"، ونهاية التاريخ وخاتم البشر لـ "فرانسيس فوكوياما".

لامية طالة. أستاذة محاضرة قسم أ

كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3. lamia.tll@gmail.com

الملخص:

صامويل هنتغتون وفرانسيس فوكوياما، وهما من أشهر المفكرين الاستراتيجيين في الولايات المتحدة الأمريكية وفي كتابهما "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي"، و"نهاية التاريخ وخاتم البشر" على التوالي، يطرحان أفكاراً نظرية في هذا السياق ثم يقدمان العديد من البراهين والأدلة لتأييد أفكاره النظرية تلك وهما بالإضافة إلى ذلك يغطيان الكثير من الموضوعات والقضايا التي تطرقا إليها وهذه تشمل: فكرة الحضارات، إشكالياتها حضارة إنسانية أو كونية، العلاقة بين القوة والثقافة، توازن القوة المتغيرة بين الحضارات، والتأصيل الثقافي في المجتمعات غير الغربية والتركيب السياسي للحضارات، الصراعات التي ولدتها العالمية الغربية، الأصولية الإسلامية، وإعادة تأكيد الصينية، ردود الفعل لنهوض القوى الصينية، أسباب وديناميات حروب خط الصدع (بين الحضارات) ومستقبل الغرب وعالم الحضارات، فكرة التاريخ الكوني، وبالتالي فإن الأطروحة الأساسية لهذا الكتابين هي أن الثقافة أو الهوية الثقافية، والتي في أوسع معانيها الهوية الحضارية، هي التي تشكل نماذج التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة.

الكلمات المفتاحية: صراع الحضارات؛ حوار الثقافات؛ نهاية التاريخ؛ صامويل هنتغتون؛ فرانسيس فوكوياما.

Abstract

Samuel Huntington and Francis Fukuyama, two of the most prominent strategic thinkers in the United States of America, and in their book "The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order" and "The End of History and the Last Man" respectively, present theoretical ideas in this context and then present many proofs And the evidence to support these theoretical ideas, which in addition cover many of the topics and issues that touched upon them, including: the idea of civilizations, the problem of human civilization or cosmic, the relationship between power and culture, the balance of changing power among civilizations, culturalization in non-Western societies and The causes and dynamics of the wars of the fault line (between civilizations), the future of the West and the world of civilizations, the idea of cosmic history.

Therefore, the basic thesis of these two books is that culture Or cultural identity, which in its broadest sense is the cultural identity, are the models of cohesion, disintegration and conflict in the post-cold-war world.

Keywords: The Clash Of Civilizations; The Dialogue Of Cultures; The End Of History; Samuel Huntington; Francis Fukuyama.

مقدمة:

فكرة الصراع بين الدول والجماعات دائماً ما تولد نتيجة للرغبة في السيطرة على شيء ما كالناس، الأرض، الثروة، القوة، النسبية، أو هي القدرة على فرض الرأي والثقافة الخاصة بدولة أو شخص ما على جماعة أو دولة أخرى باللين أو القوة، فكرة الصراع الإنساني قديمة في حد ذاتها لكن أشهر من تحدثوا عن صراع الحضارات هما الباحثان صامويل هنتجتون وهو أمريكي الأصل والثاني هو فرانسيس فوكوياما الياباني الأصل والأمريكي الجنسية، الأول وهو صامويل هنتجتون كان في صيف عام 1993 نشرت له مجلة Foreign Affairs مقالاً بعنوان "صدام الحضارات" أثار جدلاً استمر ما يقرب من ثلاث سنوات حيث أنه لمس عصباً في أناس ينتمون إلى جميع حضارات العالم، وبعد هذا الاهتمام والجدل الذي دار حول المقال، طبع هنتجتون كتابه بعنوان "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي"، والذي تناول فيه عدة أمور هامة كمفهوم الحضارات، مسألة الحضارة الكونية العلاقات بين القوة والثقافة، ميزان القوى المتغيرة بين الحضارات، العودة إلى المحلية والتأصيل في المجتمعات غير الغربية، البنية السياسية للحضارات، الصراعات التي تولدها عالمية الغرب التوازن والاستجابات المنحازة للقوة الصينية، ومستقبل الغرب وحضارات العالم.

وتشير هذه الأمور إلى إن عالم ما بعد الحرب الباردة متعدد الأقطاب، ويقصد بها الحضارات التي يتكون منها العالم، وهي "الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية، الغربية، الأفريقية وأمريكا اللاتينية"، وأن ما يحكم العلاقة بين تلك الحضارات هو "الصدام"، هذا الصدام أساسه الثقافة أو الهوية التي تحكم كل حضارة.

الثاني وهو فرانسيس فوكوياما، تناول الأمر من جهة الصراع بين الاتحاد السوفيتي وأيديولوجية الصمت الشيوعي والولايات المتحدة وفكرة الرأسمالية المتحررة من أي قيد والذي انتهى بفوز الرأسمالية، قال أن علي العالم أن يتقبل النظام الجديد بكل ما فيه من حرية وأن الولايات المتحدة هي التي بدت تسطر نهاية التاريخ بعد تبنيها للفكر المتحرر والديمقراطية والرأسمالية للعالم، وأن من رفض وأبي ظل وسيكون في نظر العالم هو الأكثر تخلفاً عن الدول التي تقبلت الوضع، وفيما يلي دراسة تحليلية لكلا النظريتين السالفتين.

I. نظرية صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي لـ "صامويل هنتجتون" S. Huntington:

ظهرت مع نهاية الحرب الباردة مجموعة من الأطروحات التي تُقرُّ بالتحول الجذري للعلاقات الدولية، وهذه الأطروحات تنتظر بشكل سلبي ومتشائم لما ستكون عليه الحضارات من صراعاتٍ عنيفة بدلاً من أن تقوم على المصالح الاقتصادية المتبادلة، ويُعتبر صامويل هنتجتون (Samuel Huntington) من أشهر من تحدّث عن نظرية صراع الحضارات.

تشير أطروحة هنتجتون عدداً من الإشكاليات في علاقة العولمة بالهوية الثقافية كونها تنطلق من الصراع، وأن صراع الحضارات -حسب هنتجتون- سيكون الصراع المقبل على المستوى العالمي، كذلك ستربط القضايا الجوهرية

على الساحة الدولية بشكل مباشر بالاختلاف بين الحضارات، وستكون الصراعات العرقية والإثنية داخل الحضارة الواحدة هي الصراعات السياسية المقبلة على المستوى المحلي.

وقد حدد هنتغتون رؤيته بشأن صراع الحضارات في نقطتين أساسيتين هما:

الأولى: أن المصدر الأساسي والرئيسي للصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة لن يكون -أساساً- أيديولوجيا أو اقتصاديا فالانقسامات الكبرى بين الشعوب و المصدر الأساسي للصراع ستكون ثقافية، ومع أن الدولة القومية ستستمر في لعب دور أساسي في الشؤون العالمية فإن الصراعات المهمة في السياسة الدولية ستكون بين الدول والمجتمعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة، وستهيمن الصراعات الحضارية على السياسة العالمية وستكون ساحتها الأساسية خطوط التماس بين هذه الحضارات¹، وهذا لمجموعة من الأسباب منها:

1. إن الاختلافات بين الحضارات تعتبر أساسية: التاريخ، اللغة، الثقافة، العادات، أديان مختلفة، هذه الاختلافات التي خلقت عبر قرون عديدة إذا لم تؤد بعد إلى نزاعات، فإنها كانت في الماضي العامل الرئيسي للنزاع.

2. إن العالم أصبح يثير مسألة الهويات المرتبطة بالحضارات مع ما تحمله من شحنات.

3. إن الغرب رغم أنه في قمة قوته، فقد من جاذبيته لدى نخب الحضارات الأخرى التي بدأت تكتشف أصولها الحقيقية، كما أنه -وحسب هنتغتون- فطبيعة علاقات الحضارة الغربية مع باقي الحضارات، سواء كانت حكومات أو أفرادا اختلفت عما كانت عليه في السابق، فهي لم تعد علاقة التابع للغرب والهدف الاستعماري له، لكنها أصبحت علاقة مشاركة للغرب كمحرك ومشكل للتاريخ.

4. إن الاختلافات الثقافية أعمق من تلك المتعلقة بالاقتصاد والسياسة، فالحضارة الغربية تعلن عن عالميتها صحيح أنها تتسع للعالم كله ولكن فقط بصفة سطحية، لأن أفكارا مثل: الشرعية، حقوق الإنسان، المساواة، الحرية، الديمقراطية واقتصاد السوق ليس لها تأثير على الثقافات الإسلامية، اليابانية، الهندية، البوذية والكونفوشيوسية، كما أن الجهود الرامية إلى ترقية هذه المفاهيم من نتائجها إثارة رد فعل ضد إمبريالية حقوق الإنسان وإعادة تأكيد للقيم المحلية².

الثانية: أن العالم سيصاغ استنادا إلى حركة تفاعلات الحضارات السائدة في عالم اليوم، ومن أهمها: الحضارة الغربية، الكونفوشيوسية والحضارة الإسلامية، وقد تتعاون الأخيرتان معا ضد الحضارة الغربية³.

ويضرب هنتغتون أمثلة عن هذه الصراعات أو المواجهات في عقد التسعينيات كالتي بين الغرب والإسلام، الغرب والشرق الآسيوي، في يوغوسلافيا (بين السرب والأرثوذكس والكروات والبوسنيين المسلمين) وفي آسيا الوسطى (بين الروس والأرثوذكس والترك المسلمين أي الشيشان)⁴، حيث يورد هنتغتون سلسلة من الإحصائيات حول هذه الصراع حيث يقول: "شارك المسلمون في 26 صراعا من إجمالي 50 صراع عراقي سياسي ما بين سنتي 1993 و1994، عشرون (20) من هذه الصراعات كانت بين جماعات تنتمي لحضارات مختلفة، وعشرون بين المسلمين وغير المسلمين، باختصار كانت هناك صراعات بين مسلمين وأطراف من حضارات أخرى ثلاثة أضعاف ما كان بين كل الحضارات غير الإسلامية، كما كانت الصراعات داخل الإسلام نفسه كثيرة أكثر مما كانت داخل أي حضارة أخرى"، ويضيف: "الغرب على العكس من الإسلام لم يتورط إلا في صراعين بين حضارات مختلفة

وصراعين داخل حضارات بعينها... كما أن الصراعات التي كان المسلمون طرفا فيها كانت دائما كثيرة الضحايا، الحروب الست التي يقدر القتل فيها بـ 200 ألف كان ثلاث منها ما بين المسلمين وغير مسلمين (الصومال وأكراد العراق)... لينتهي كلامه بـ: "ما بين ثلثي إلى ثلاثة أرباع عدد الصراعات بين الحضارات كان بين مسلمين وغير مسلمين، حدود الإسلام دموية... وكذلك الأحشاء"⁵.

وقد قصد هنتغتون من هذا التحليل أن ينبه الغرب إلى أن الصراع لم ينته، بل إنه قد بدأ بالرغم من أنه لم يعد صراعا سياسيا اقتصاديا، وإنما تحول إلى صراع القيم والمبادئ والمفاهيم والثقافات بالدرجة الأولى، وقد أشار بشكل خاص إلى خطر الإسلام بثقافته وعقائده المتطرفة على الحضارة الغربية والتحدي الذي يظهره العالم الإسلامي للثقافة والسياسة الغربيتين وموقفه العدائي تجاهها⁶. وهكذا يصر هنتغتون على أن الإسلام نفسه وليس المتطرفون الإسلاميون فقط من يشكلون خطرا على الحضارة الغربية، وتاريخ الإسلام-يضيف- خلال 14 قرنا يؤكد بأنه خطر على كل حضارة واجهها خاصة المسيحية... ويبرز هنتغتون تشنجه الشديد وعدم موضوعيته حين يستشهد بكتاب "الإسلام والديمقراطية" للكاتبة الجزائرية فاطمة مرتيسي حيث يقول هذه كاتبة ليبرالية وقد هاجمها بعض المسلمون لأنها انتقدت بعض الممارسات الإسلامية، وتساءل: ماذا قالت عن الغرب؟ قالت أنه: مادي، انحلاي، عنجهي، عنيف... ويضيف قائلا مادام الإسلام سيبقى إسلاما وليس هنالك أدنى شك في ذلك، ومادام الغرب سيبقى غربا ولا يتوقع أحد أن يصبح الغرب شرقا، فإن الصراع سيظل قائما بينهما كما ظل قائما لـ 14 قرنا⁷. وفيما يلي جملة من الفرضيات "الخاطئة" التي تقوم عليها أطروحة هنتغتون:

الفرضية 01: أن النزاعات المقبلة ستحدثها عوامل ثقافية عوض العوامل الاقتصادية والأيدولوجية، حيث أن الحضارات الأساسية السبع أو الثماني ستلعب الدور الرئيسي في صياغة التشكيل العالمي بدلا من المصالح السياسية والاقتصادية للدول القومية والأمم والقوميات العرقية... والنزاعات الثقافية الأكثر خطرا هي تلك التي تقع على خطوط التقسيم بين الحضارات... إن الصدمات الخطيرة في المستقبل قد تأتي من تنافر الغطرسة الغربية، عدم التسامح الإسلامي وإثبات الذات الصيني.

الفرضية 02: أن الغرب لا نظير له، وبالرغم من ذلك فإن هنتغتون يغلق على نفسه في فكرة التفوق حيث يقول: "من البديهي أن الغرب يختلف عن جميع الحضارات التي وجدت وذلك بالتأثير الأساسي في جميع الحضارات منذ 1500..."، حيث يعتبر أن الطابع الفريد والغلبة للغرب مبني على ثمانين قيمة خاصة مشتركة هي:

- 1- الإرث الكلاسيكي.
- 2- الدين المسيحي.
- 3- تعدد اللغات الأوروبية.
- 4- الفردانية.
- 5- دولة القانون.
- 6- التعدد الاجتماعي.
- 7- الكتل الواسطة.
- 8- الفصل بين السلطات بين الروحي والزمني.

بالإضافة إلى اعتباره بطريقة تبسيطية أن الغرب ليس إلا يهوديا-مسيحيا، و يونانيا-رومانيا⁸. ويؤكد هنتغتون في هذا المقام أن الغرب مسيطر وبشكل طاغ وسيظل رقم واحد (01) من ناحية القوة والنفوذ في القرن

الواحد والعشرين، وهناك كذلك تغيرات جذرية تدريجية قوية وأساسية تحدث في موازين القوى بين الحضارات، وقوة الغرب بالنسبة لقوة الحضارات الأخرى سوف تستمر في الازمحلال⁹.

الفرضية 03: أن الثقافة الإسلامية تفسر بشكل واسع فشل الديمقراطية في أغلب بلدان العالم الإسلامي... والآفاق الديمقراطية في البلدان الإسلامية مظلمة... المقاومة الكبيرة التي لقيها الغرب في مجهوداته لفائدة الديمقراطية جاءت من الإسلام."

وهنا يُصوّب هنتغتون سهامه إلى الإسلام معتبرا إياه العدو الجديد بسبب ثقافته المغلقة، نظرا لطموحه في أن يكون مختلفا، لميزته غير الغربية وكثافته السكانية، كما لو كان هذا يشكل تهديدا، وهو بذلك يدعم مقولة زميله "دانيال بيبس D. Pipes" الأيديولوجي الأمريكي الذي يقول: "المسلمون يستطيعون أن يتقدموا ويتطوروا شرط قبولهم النموذج الغربي"¹⁰.

وهكذا فالمواجهة القادمة للغرب ستأتي تحديدا من العالم الإسلامي، مع زحف الدول الإسلامية من المغرب إلى باكستان سيبدأ صراع من أجل نظام عالمي جديد... المشكلة المهمة بالنسبة للغرب-يقول هنتغتون- ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضالة قوته... المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات المركزية ولا وزارة الدفاع، المشكلة هي الغرب: حضارة مختلفة شعبها مقتنع بعالمية ثقافته، ويعتقد أن قوته المتفوقة وإن كانت متدهورة فإنها تفرض عليه التزاما بنشر هذه الثقافة في العالم، هذه المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب... ثم يختم كلامه بقوله: لا يمكن للإسلام والمسيحية أن يتعايشا على هذا الكوكب¹¹.

الفرضية 04: إن الإسلام ذو طابع عسكري وحربي وعنيف أي يمثل "محور الشر"... إن النمو الديموغرافي في البلدان الإسلامية يؤدي إلى لجوء عدد كبير إلى التطرف والإرهاب، التمرد والهجرة... يرى بعض الغربيين أن الغرب ليس له مشاكل مع الإسلام ولكن فقط مع المتطرفين، ولكن ألفا وأربعمائة 1400 سنة من التاريخ تظهر العكس: "... فحركية الإسلام هي مصدر عدد كبير من الحروب الحضارية الصغيرة... إن العالم الإسلامي يعادي الغرب أكثر فأكثر... والحدود الأكثر عنفا هي تلك التي تقع بين الإسلام وجيرانه... ثم يضيف إنها الحضارة الوحيدة التي هددت وجود الغرب... الإسلام هو مصدر عدم استقرار العالم."

الفرضية 05: الإسلام عقيدة استبدادية، تخطط الدين بالسياسة، فهو يعيد كليشيهات وأفكار مسبقة، فاحشة وسطحية حول موضوعات تبدو وكأنها مشكلا بالنسبة إليه سواء على المستوى النظري أو العملي، خاصة الدين بالدولة.

الفرضية 06: ترى أن الحركات الداعية إلى التجديد الديني هي حركات ضد اللائكية، ضد العالمية وضد الغرب... "لا تكون العلاقات وثيقة وحميمية بين مجموعات تنتمي إلى حضارات مختلفة... لن تتحقق آمال الشراكة، تبقى الأمور تتراوح بين الاختلافات والعنف... وإذا أراد الغرب أن يحافظ على تفوقه فعليه أن يحدّ من نشر المعرفة... وإلا فهي نهاية سيطرة الغرب على الاقتصاد العالمي"¹².

مواقف حول النظرية: تناول كثير من العلماء نظرية صدام الحضارات لهنتغتون من حيث منطقها الفلسفي ومنهجها البحثي، فتباينت المواقف من هذه النظرية وانقسمت إلى عدة فرق حيث يرى:

الفريق الأول: إن ما طرحه هنتغتون من مفهوم "النموذج الحضاري" ساهم في إقامة إطار نظري حديث لنظرية السياسة الدولية، وفتحت نظرية هنتغتون أفقا نظريا جديدا بصدد معالجة السياسة الدولية، ومنهجها البحثي يمتاز بأهمية بالغة تتعلق بالنظام الذي يتحكم في مسار السياسة الدولية، وأنها ذات تأثير وإيحاء.

الفريق الثاني: فهو ينقدها ويعتبرها "نظرية مفارقة" فبينما يؤكد التعددية الحضارية ويرفض فرض الحضارة الغربية كحضارة كونية على دول العالم، يرفض التعددية الحضارية عندما يلتفت إلى داخل بلاده الأمريكية ويرفع راية الأحادية للحفاظ على الحضارة الأمريكية الخالصة، كما تتخلل النظرية نقائص وتغيرات إذ أهملت دور المصالح الاقتصادية في السياسة الدولية، وتبسيطها لنظرية السياسة الدولية يساعد على شرح السياسة الدولية، لكن ذلك أهمل قانون التطورية النسبية للحضارات في الوقت نفسه ونظرية "النموذج الحضاري" عاجزة على شرح كل التاريخ البشري حتى على حرب عام 2010 العالمية الافتراضية التي تصورها هو نفسه¹³.

كما يذهب البعض الآخر لوصف نظرية هنتغتون بالاستعلاء والأنانية في تقييمه لنظريته من خلال جعل الحضارة الغربية الحضارة المتفوقة على جميع الحضارات في العالم، وبالتالي وصف الهدف من أطروحات هنتغتون حول الحتمية الثقافية بأنه دعوة إلى هيمنة الغرب على العالم، وتبرير سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية باسم الغرب على السياسة العالمية.

فهذه النظرية-بالنسبة لهذا الفريق- لا تخرج عن كونها رؤية أمريكية تعتمد إلى إنتاج وإعادة إنتاج مستمر لطموحات الهيمنة والسيطرة المتأصلة في الثقافة الأمريكية¹⁴.

المؤرخة والصحفية الفرنسية "صوفي بتييس" ترفض أطروحة هنتغتون وتعتبرها رجعية ولا تطرح المشاكل الحقيقية، فهي لا تركز على التناقض الثقافي أو الحضاري بين الغرب والعالم الإسلامي، فحسبها الغرب لا يريد تحمّل مسؤولية النظام العالمي الجائر الذي يقيم هوة سحيقة بين الشمال والجنوب، كما أنه -حسبها- الغرب لا يعترف بأن الآخرين الحق في بلورة القيم الحضارية والكونية، وإنما يحتكر هذا الحق لنفسه فقط¹⁵.

من هذا الفريق من اتهم هنتغتون بأنه يعاني من الزيفوفوبيا، وهو مصطلح يطلق على أولئك الذين يعانون من الرهبة الشديدة من كل ما هو أجنبي، مؤكدين أن التوجهات العنصرية تبدو واضحة من بين سطور كتابه، وينضح تعريفه للأمة الأمريكية بأنها ذات ثقافة (أنجلو-بروتستانتية)... حيث يرى أن الغرب يسود العالم لأنه انتصر على ما دونه من الأمم الأخرى... ويحاول أن يقنع الآخرين بأن منظومته القيمية والعقدية هي الأفضل وهي التي جعلت منه الحضارة السائدة¹⁶.

الفريق الثالث: يذهب إلى اكتشاف ما وراء نظرية هنتغتون في صدام الحضارات، مما يحمله صاحب النظرية من القيم الروحية والعقدة النفسية والهدف الحقيقي، فيشيرون إلى أنها نابعة عن العقلية المركزية الغربية أو القيم الإمبريالية أو القومية الأمريكية الضيقة، أو أنها آتية من الخوف من تحدي الحضارات غير الغربية على هيمنة

الغرب، وخاصة هيمنة الولايات المتحدة وأنها تهدف في حقيقتها إلى مساعدة وضع إستراتيجية غربية بعد عصر الحرب الباردة، قادرة على المحافظة على هيمنة الغرب الريادية الحاكمة في الشؤون الدولية وتفادي تدهورها¹⁷. وفي هذا المجال يقول السيد ياسين تعتبر نظرية هنتغتون تقنياً للاتجاه العنصري الصاعد في بعض الدوائر الغربية لطريقة التعامل مع "الآخر" المختلف ثقافياً عن ممثلي الحضارة الغربية، وهي أشبه ما تكون بدعوة لكي تنشط الدوائر الإستراتيجية الغربية في وضع أسس جديدة للمواجهات بين الدول الغربية ودول العالم الثالث تقوم أساساً على الصراع بين الثقافات وذلك باعتبار أن الثقافة الإسلامية- في هذا المنظور الغربي العنصري- تقوم على العنف والإرهاب¹⁸.

عن مقولة الحداثة والتغريب:

يذهب هنتغتون إلى القول بأن تحديث وتغريب المجتمعات غير العربية، القادة السياسيون والمفكرون في تلك المجتمعات استجابوا للتأثير الغربي بواحد أو أكثر من الأساليب الثلاثة التالية: إما رفض التحديث والتغريب معاً، أو تبنيهما معاً، أو تبني الأول ورفض الثاني:

■ **الرفضية:** بالنسبة للإسلام كتب "دانيال بيبس": "وحدهم الأصوليون المتشددون هم الذين يرفضون التحديث والتغريب، ويلقون بأجهزة التلفزيون في الأنهار ويحرقون ساعات المعصم، ويرفضون ماكينة الاحتراق الداخلي، استحالة تطبيق برامجهم يجد بشدة من الإعجاب بهم وفي حالات عديدة مثل "ألين أزالا" في كانوا وقتلة "السادات" ومهاجمو المسجد في مكة، وبعض جماعات التقوى في ماليزيا- فإن هزائمهم في المواجهات العنيفة مع السلطات أدت إلى اختفائهم تاركين أثراً قليلاً".

ويشرح هنتغتون كلامه بالقول أن هذا الاختفاء وترك الأثر القليل يلخص بشكل عام مصير السياسات شديدة التطرف في نهاية القرن العشرين والتعصب - ببساطة - إذا استخدمنا اصطلاح توبيني ليس خياراً قابلاً للتطبيق.

■ **الكمايلية:** يقول بيبس نفس الشيء وهو يشير إلى الإسلام: "لكي ينجو من اللامعيارية أمام المسلمين خيار واحد، حيث أن التحديث يتطلب التغريب... والإسلام لا يقدم طريقاً بديلة للتحديث... العلمانية لا يمكن تجنبها، العلم الحديث والتكنولوجيا يتطلبان استيعاباً للعمليات الفكرية التي تصاحبهما... ونفس الشيء بالنسبة للمؤسسات السياسية، ولأن المضمون يجب ألا يحاكي بأقل مما يحاكي الشكل، فلا بد من الاعتراف بهيمنة الحضارة الغربية حتى يمكن التعلم منها اللغات الأوروبية والمؤسسات التعليمية الفرعية لا يمكن تجنبها، حتى وإن كانت هذه الأخيرة تشجع على التفكير الحر والعيش السهل، فقط... عندما يقبل المسلمون بالنموذج الغربي صراحة، سيكونون في وضع يمكنهم من استخدام التقنية، ومن ثم أن يتقدموا..."¹⁹.

ولكن في أحدث دراسة لصمويل هنتغتون - لم يُسلط عليها الضوء كما جرى مع دراسته السابقة (صدام الحضارات) - يتبين التناقض الذي تقع فيه القوة الجديدة المنفردة بزعامة العالم وتتضح الحيرة العاصفة التي تسود مجتمع النخبة في الغرب، فقد كتب هنتغتون في عدد شهري (نوفمبر/ديسمبر 1996) من مجلة "شؤون خارجية" تحت عنوان "**الغرب: متفرد وليس عالمياً** *The west: unique, Not universal*", يفرق فيها بين

التحديث والتغريب ويقول: "إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الغربية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد، وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية والمسيحية الغربية، والأصول اللاتينية للغات شعوبها، والفصل بين الدين والدولة، وسيادة القانون والتعددية في ظل المجتمع المدني والهياكل النيابية والحرية الفردية".

ويضيف قائلاً: "إن التحديث والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يحققا التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب، ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة، وأن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيويتها في مواجهة حضارات العالم، وهذا الأمر يتطلب وحدة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ورسم حدود العالم الغربي في إطار التجانس الثقافي".²⁰

وقد عرض هنتغتون بعض الدول كأمثلة ناجحة في الاقتراب من الحداثة دون التخلي عن الحضارة المحلية كليا، والواقع يدل على أن تأثير الحضارة الغربية يكون قوة دافعة للدول غير الغربية في تحقيق الحداثة، إذ أن الغرب الذي بادر إلى تحقيق الحداثة وضع أهدافا ومعايير لحداثة الدول غير الغربية، ففي الحقيقة أن الفرق بين التغريب والحداثة صعب، وإذا قلنا أن دولة حققت الحداثة على أساس رفضها التام للتغريب كأن نقول أن هناك إنسانا شعبانا مرتويا في حالة رفضه التام لتناول أي طعام، فالكلام هنا يناقض نفسه!!!.

II. نظرية نهاية التاريخ وخاتم البشر لـ "فرانسيس فوكوياما F. Fukuyama"

على عكس نظرية هنتغتون، جاءت نظرية "نهاية التاريخ وخاتم البشر" لـ فرانسيس فوكوياما التي تمحورت حول نهاية الصراع والاختلاف بعد الذي حققته الليبرالية الاقتصادية والسياسية والانتشار الواسع والهيمنة التي حققتها الحضارة الغربية، وسيادتها على العالم كنموذج واحد تقتدي به كل البشرية²¹.

فالمسيرة النهائية للتاريخ كما يقول فوكوياما: "تتجه بالشرط الأعظم من البشرية صوب الديمقراطية الليبرالية، التي تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية الذي اكتمل مع مبادئ الثورات الأمريكية والفرنسية التي تبقى مطلقة ولا يمكن تجاوزها أبدا حتى وإن لم تستطع بعد بعض النظم المعينة تجسيد هذه المبادئ في الواقع العيني، فالدولة المتجانسة ستنتصر بالفعل طال الزمن أو قصر،... وبالشكل النهائي لكل نظام حكم بشري"،*، حيث يقول فوكوياما بصريح العبارة: "...من الآن فصاعدا هناك كلية واحدة ممكنة، فقد انتهى التاريخ بانتصار الأيديولوجية الغربية والأمريكية تحديدا"²².

وقد شرح فوكوياما ذلك على اعتبار أن ما نشهده الآن ليس نهاية للحرب الباردة بوضع حد للأيديولوجية في التاريخ الإنساني وإنما نهاية للتاريخ بانتشار قيم الليبرالية الديمقراطية الغربية لمرحلة ما بعد الحرب²³.

إن نظرية نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما تقوم على ثلاث عناصر أساسية هي:

1. هو أن الديمقراطية المعاصرة قد بدأت في النمو بداية القرن التاسع عشر (19)، وانتشرت بالتدرج كبديل حضاري في مختلف أنحاء العالم للأنظمة الديكتاتورية، واعتمد فوكوياما في طرحه على عنصرين اعتبرهما الأساس هما:

٢ العامل الاقتصادي: وأحسن مثال يضربه على ذلك معجزة الشرق الأقصى خاصة الصين، وإنهاء الاقتصاد المخطط في الاتحاد السوفيتي والتحولت الكبرى في الفكر الاقتصادي في دول أمريكا اللاتينية.

٣ العامل الذي يسميه بالصراع من أجل الاعتراف، كمحرك للتاريخ في إنشاء الديمقراطية الليبرالية.

2. فكرة الصراع التاريخي المتكرر بين "السادة" و"العبيد" لا يمكن أن يجد له نهاية واقعية سوى في الديمقراطيات الغربية واقتصاد السوق الحر، ذلك أن فوكوياما يرى وبكل ثقة أن الإنسانية قد دخلت مرحلة ما بعد التاريخ، فالخلافات الدولية على نطاق كوني كالحروب العالمية من أجل هيمنة وانتشار فكرة ذات بعد كوني وقادرة على تعبئة الإنسانية أمر غير وارد.

3. الاشتراكية الراديكالية أو الشيوعية لا يمكنها لأسباب عدة أن تتنافس مع الديمقراطية الحديثة، وبالتالي فإن المستقبل سيكون للرأسمالية أو الاشتراكية الديمقراطية، ويُرْجَع فوكوياما إخفاق النظام الشمولي إلى إخفاقه في السيطرة على الفكر وليس الأزمة والضعف الذين يعاني منهما في الجانب الاقتصادي.

ومن جهة أخرى فيعتبر فوكوياما أن المعيار العقلاني الوحيد هو الاعتراف بقيمة الاقتصاد الحر والدولة الليبرالية، وعليه يقول بضرورة إزالة الحواجز القومية عن طريق تكوين سوق عالمي واحدة مندمجة تبعا لمتطلبات القوى الاقتصادية في العصر الحالي، ساعدت في توسيع حجمه التطورات التكنولوجية التي حدثت في مجال الاتصالات والنقل²⁴.

ذلك أنه وفي نهاية التاريخ ليس ثمة متنافسون أيديولوجيون للديمقراطية، وقد فرض الناس في الماضي هذه الديمقراطية الليبرالية لاعتقادهم أن الملكية والارستقراطية والثيوقراطية أو الحكومة الدينية والشمولية الشيوعية وسائر الأيديولوجيات التي سبق وأن آمنوا بها أفضل منها، أما الآن فيبدو أن ثمة اتفاقا عاما -في العالم الإسلامي- على قبول مزاعم الديمقراطية والليبرالية بأنها أكثر صور الحكم عقلانية، وهي صورة الدولة التي تحقق أقصى حد ممكن في إشباع كل من الرغبة العقلانية والاعتراف العقلاني²⁵.

وبالتالي -يؤكد فوكوياما- أنه مع انقضاء القرن العشرين يمكن الحديث مجددا عن تاريخ للبشرية واضح المعالم والأهداف، حيث تتجه أغلب البشرية إلى الديمقراطية الليبرالية، فحسبه العولمة والمعلوماتية وهيمنة الحضارة الغربية على بقية العالم تكون قد حسمت الصراع بشكل نهائي، ليدخل العالم في حلة جديدة كأمر واقع وكأنما هناك إقرارا كونيا بأن عهد الصراع قد حُسم بالقوة، قوة الإقناع واختصار البدائل الحضارية والفكرية في سيادة النموذج الغربي الليبرالي وانسحاب كل مشروع منافس له من ساحة الصراع بالتلاشي أو الركون إلى المحلية الضيقة في أشكال فلكورية ليس إلا²⁶.

في سياق آخر يعترف فوكوياما بأن الإسلام يمثل نظاما أيديولوجيا متسقا ومتماسكا مثل الليبرالية والاشتراكية، وهذا لامتلاكه لقانون ولمعايير أخلاقية خاصة به ولنظرية للعدالة السياسية والاجتماعية كما أنه يتمتع بجاذبية يمكن

أن تكون عالمية...، فالإسلام ذو بعد كوني لأنه يتوجه لكافة البشر ولا يخص مجموعة بشرية قومية أو عرقية بعينها²⁷، وهو بذلك -يستأنف فوكوياما- يشكل خطراً كبيراً على الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها إلى السلطة السياسية بصورة مباشرة، وقد تلا نهاية الحرب الباردة في أوروبا على الفور تحدي العراق للغرب، وهو ما قيل (عن حق أو غير حق) أن الإسلام كان أحد عناصره²⁸.

ولهذا وبعد انهيار الكتلة الشيوعية -أصبح الإسلام المتخلف قيماً وحضارة العدو الحقيقي للحضارة الغربية المسيحية، وبالتالي يجب أن توجه إليه الحرب من قبل الغرب²⁹، ففي تصريح له لجريدة "النيوز ويك News Week" قال فوكوياما: "إن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب، ولا ضد الإسلام كدين وحضارة، ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية، وأن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين في بحر الغاشية الإسلامي الذي يسبح فيه الإرهابيون، يشكل تحدياً أيديولوجياً، هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية"³⁰.

ثم يعود فوكوياما ليضيف أنه بالرغم من القوة التي أبداهها الإسلام في صحوته الحالية المتولدة أساساً عن الضغط الممارس من طرف القيم الغربية على المجتمعات الإسلامية، فإنه بالإمكان القول أن الإسلام ليس له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة لأن زمن التوسع الحضاري الإسلامي قد ولى³¹، ويواصل... ورغم أن نحو بليون نسمة يدينون بدين الإسلام (أي خمس تعداد سكان العالم)، فليس بوسعهم تحدي الديمقراطية الليبرالية في أرضها على المستوى الفكري، بل إنه يبدو أن العالم الإسلامي أشد عرضة للتأثر بالأفكار الليبرالية على المدى الطويل من احتمال أن يحدث العكس، حيث أن مثل هذه الليبرالية قد اجتذبت إلى نفسها أنصاراً عديدين وأقوياء لها من بين المسلمين على مدى القرن ونصف القرن الأخيرين، والواقع أن أحد أسباب الصحو الأصولية الراهنة هو قوة الخطر الملموس من جانب القيم الغربية على المجتمعات الإسلامية التقليدية³².

وهكذا يرى فوكوياما أنه بعد الهزيمة التي لحقت بالأمم القوية في العالم بداية بالهزائم التي منيت بها الأنظمة والأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية والفاشية، وبعد انتصار الغرب على الشرق الشيوعي في الحرب الباردة، يكون التاريخ قد وصل إلى نهايته لأنه حقق غايته المتمثلة في الحرية والمساواة، وهي الغاية التي لا تتحقق إلا في ظل الديمقراطية الليبرالية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوروبا، وهذه الديمقراطية الليبرالية ستظل المطمح السياسي الواضح والوحيد الذي يربط مختلف المناطق والثقافات في كوكبنا هذا³³.

ويواصل فوكوياما كلامه: كان ثمة ضغوط من أجل توفير ديمقراطية أكبر في عدد من أقطار الشرق الأوسط مثل مصر والأردن عقب ثورات 1989 في أوروبا الشرقية، غير أنه في هذه المنطقة من العالم وقف الإسلام عقبة كبيرة في وجه تطبيق الديمقراطية، وأوضحت الانتخابات البلدية الجزائرية عام 1990 وإيران قبل ذلك بعشر سنوات أن قدراً أكبر من الديمقراطية قد لا يؤدي إلى قدر كبير من الليبرالية، حيث أن الديمقراطية تهتئ للأصوليين الإسلاميين فرصة الوصول إلى الحكم وهم الذين يتطلعون إلى إقامة شكل من أشكال الشيوعية الشعبية³⁴.

وخلاصة كل هذا أن فوكوياما وصل إلى أن التاريخ وليد الصراع، ويعتبر التاريخ منتهياً بالانتصار على الشيوعية الذي ترك الساحة مفتوحة أمام النموذج الحضاري الأمريكي الذي سيعم العالم، حيث وصف هذا الـ

"مُنظر" المسلمين ونواتهم العرب بالعطالة الفكرية والحضارية، الأمر الذي سيحول دون تكوينهم لكتلة تاريخية فاعلة تستطيع الوقوف في وجه النموذج الرأسمالي المنتصر³⁵.

نقد فكرة نهاية التاريخ: ثمة عدة ملاحظات يمكن أن توجه إلى أطروحة فوكوياما في تكوينها الداخلي كمنظومة فكرية، نذكرها على شكل انتقادات عبر نقاط نعتقد أنها تشكل الحلقات الضعيفة في تلك الأطروحة، ونوجز أهمها فيما يلي:

٢٠ تشكو نظرية فوكوياما من فقر واضح في التحليل الخاص بدور الاستعمار في تطور المجتمعات الإنسانية ودور الإمبريالية الرأسمالية في التمهيد لانتصار الليبرالية واتجاه بوصلة التاريخ نحو النهاية، بالإضافة إلى أنه لم يستثمر المعلومات التاريخية المتوافرة عن بعض المجتمعات ذات الخصوصية التاريخية مثل المجتمعات الإسلامية، فباستثناء إشارات شاحبة حول إيران فإن كتابه لا يتضمن سوى معطيات هزيلة من تاريخ المجتمعات الإسلامية ودورها في مستقبل الصراع العالمي وبناء المجتمع الدولي الجديد.

٢١ إن أطروحة فوكوياما هي أطروحة إسقاطية تنطلق من انتماء واضح للنموذج الأمريكي المسيطر على العالم، فهو ينظر إلى منطق الأشياء انطلاقاً من مرجعية معينة تتمثل في تحليل الأحداث والتغيرات التي عرفها المجتمع المعاصر من خلال الانتماء إلى النموذج الأمريكي المهيمن، ناهيك عن نظرته إلى النظام الدولي الجديد على أساس مادي بمعزل عن الأساس الروحي، وبهذا تكون قراءة فوكوياما للنظام الدولي الجديد قراءة موجهة، وتحليلاته في فضاء النظام الجديد تحليلات عرجاء وتخريجات إسقاطية مبنية على مواقف قبلية موجهة.

٢٢ يعتبر فوكوياما مجرد أداة يستخدمها النظام الدولي الجديد وبوق دعاية له في مرحلته التأسيسية، وبهذا تتحول نظريته من نظرية فلسفية إلى خطاب سياسي أيديولوجي يبشر بأبدية الرأسمالية في ثوبها الجديد، باعتبار أنها اتخذت على عاتقها مسؤولية الترويج لفكرة الإجماع العالمي حول مسألة الديمقراطية والالتفاف حول النظام الليبرالي كحل نهائي تنتشه الإنسانية، وبذلك انتهت الحرب الباردة ومسألة الصراع الأيديولوجي لينتهي معها التاريخ.

٢٣ نقطة الضعف المعترف بها في الأطروحة هي أن التاريخ لن ينته ما دامت العلوم الطبيعية المعاصرة لم تبلغ غايتها ونهايتها بعد وأنه لا يمكن وضع حد للعلم، وبالتالي فالتاريخ لن ينته في مجتمع لا يزال ينتج العلوم، بل إنه -باعتراف فوكوياما نفسه- تشكل اللحظة الراهنة زمناً متميزاً تعرف خلاله البشرية صحوة تكنولوجية وتجديداً هائلاً في شتى علوم الحياة³⁶.

في الأخير ما يمكن قوله هو أن نظرية فوكوياما ما هي إلا تكرار ممل لما طُرح في سوق الثقافة الرأسمالية الاستهلاكية منذ أمد بعيد، من خلال سقوط هذا الباحث في شباك التحيز حين وضع فكرته في خدمة السياسة الأمريكية الرأسمالية وصاغ أفكاره بروح انبهارية تحت نشوة انتصار النظام الدولي الجديد، أي أن قصارى القول هو أن أطروحة فوكوياما ما هي إلا إعادة لفكرة هيغل ودفاعاً عن نظرة الدولة الرأسمالية، وإعلام غربي متطور يهدف إلى الترويج للنظام الدولي الجديد، لذا وكما يقول بعضهم عن تأمل فوكوياما السياسي المتكئ على تراث فلسفي: "ما هو إلا بومة تأتي من السماء !!".

من الصدام الحضاري إلى الصدام الكوني:

ثمة مفاهيم ذات مساس مباشر بالخطاب العام الذي يشغل فيه كتاب (هنتجتون) أو كتاب (فوكوياما)، وهي: مفهوم الحضارات، مسألة الحضارة الكونية، العلاقة بين القوة والثقافة، ميزان القوى المتغير بين الحضارات، التأصيل في المجتمعات غير الغربية، البنية السياسية للحضارات، الصراعات التي تولدها عالمية الغرب، العسكرية الإسلامية، التوازن والاستجابات المنحازة للقوة الصينية، أسباب حروب خطوط التقسيم الحضاري والعوامل المحركة لها ومستقبل الغرب وحضارات العالم.

هذه المفاهيم، أو التكوينات المفاهيمية، تتمفصل في خمسة محاور أساسية هي:

1. لأول مرة في التاريخ نجد (الثقافة الكونية) متعددة الأقطاب ومتعددة الحضارات، التحديث مختلف بدرجة بينة عن التغريب، ولا يُنتج حضارة كونية بأي معنى، ولا يؤدي إلى تغريب المجتمعات غير الغربية.
 2. ميزان القوى بين الحضارات يتغيرن الغرب يتدهور في تأثيره النسبي، الحضارات الآسيوية تبسط قوتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، الإسلام ينفجر سكانياً مع ما ينتج عن ذلك من عدم استقرار بالنسبة للدول الإسلامية وجيرانها، والحضارات غير الغربية عموماً تُعيد تأكيد ثقافتها الخاصة.
 3. نظام عالمي قائم على الحضارة يخرج إلى حيز الوجود، المجتمعات التي تشترك في علاقات قريى ثقافية تتعاون معاً، الجهود المبذولة لتحويل المجتمعات من حضارة إلى أخرى فاشلة، الدول تتجمع حول دولة المركز أو دولة القيادة في حضارتها.
 4. مزاعم الغرب في العالمية تضعه بشكل متزايد في (صراع مع الحضارات الأخرى) وأخطرها مع (الإسلام والصين)، وعلى المستوى المحلي، فإن حروب خطوط التقسيم الحضاري، وبخاصة بين المسلمين وغير المسلمين، ينتج عنها (تجمع الدول المتقاربة)، وخطر التصعيد على نطاق واسع، وبالتالي جهود من دول المركز لإيقاف تلك الحروب.
 5. إن بقاء الغرب يتوقف على الأمريكيين بتأكيدهم على (الهوية الغربية)، وعلى الغربيين عندما يقبلون حضارتهم كحضارة (فريدة)، وليست عامة، ويتحدون من أجل تجديدها، والحفاظ عليها ضد التحديات القادمة من المجتمعات غير الغربية، إن تجنب حرب حضارات كونية يتوقف على قبول قادة العالم بالشخصية متعددة الحضارات للسياسة الدولية وتعاونهم للحفاظ عليها³⁷.
- تُشير هذه المحاور إلى إن عالم ما بعد الحرب الباردة متعدد الأقطاب، يفنقر إلى تقسيم واحد ومحدد، كالذي كان أثناء الحرب الباردة، هذه الأقطاب هي (الحضارات) التي يتكون منها العالم، وهي: الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية، الغربية، الأفريقية وأمريكا اللاتينية، وما يحكم العلاقات بين هذه الحضارات هو (الصدام)، هذا الصدام ينطلق ويعود بالاستناد إلى (الثقافة) أو إلى (الهوية)، ذلك "إن الثقافة أو الهويات الثقافية، والتي هي على المستوى العام، هويات حضارية، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة .."، على أن العوامل الثقافية المشتركة والاختلافات هي التي تشكل المصالح والخصومات وتقاربات الدول، ونلاحظ إن أهم دول العالم جاءت من حضارات مختلفة، والصراعات الأكثر ترجيحاً أن تمتد إلى حروب أوسع، هي الصراعات القائمة بين جماعات ودول من حضارات مختلفة، وأشكال التطور السياسي والاقتصادي السائدة تختلف من حضارة

إلى أخرى، والقضايا السياسية على أجندة العالم تتضمن (الاختلافات بين الحضارات)، والقوة تنتقل من الغرب الذي كانت له السيطرة طويلاً إلى الحضارات غير العربية، والسياسة الكونية أصبحت متعددة الأقطاب ومتعددة الحضارات³⁸.

خاتمة:

إن رؤية هنتجتون تتقاطع كلياً مع رؤية (فرانسيس فوكوياما)، الذي قال: بأن انهيار القطبية الثنائية بانهيار الاتحاد السوفيتي، كإطار للشيعوية، أدى إلى انفراد الرأسمالية والليبرالية الغربية بالعالم وهو ما يمثل نهاية التاريخ، أو بتعبيره حالياً نشهد نهاية التاريخ بما هو نقطة النهاية للتطور الأيديولوجي للبشرية وتعميم الليبرالية الديمقراطية الغربية على مستوى العالم كشكل نهائي للحكومة الإنسانية.

التغير في مسار التاريخ والتغيرات المتلاحقة خلال ربع قرن لم تؤد إلى حالة من الانسجام أو التوافق الواحدى الاتجاه، بل على العكس من ذلك، أخذت تُقسم هذه القطبية المنفردة إلى أقطاب أخرى، فالصراع خرج من مجال ضيق بين نظامين هيمناً على البشرية خلال خمسة وسبعين عاماً إلى مجال أنظمة متعددة ومختلفة، ومن دائرة عقائدية مُعقّنة إلى مجال أنظمة وجودية فكرية ترتبط بمفاهيم مؤصلة في الذات البشرية، ذات ارتباط معيوش لا يكاد ينفصل انفصلاً كلياً عن الوجود البشري في ظهوره الشخصي مثل: العرق، الدم، الطائفة، الدين، العقيدة، التقاليد، وهي ومفاهيم تُمثل: قوى للصدام، أو هويات ثقافية أو حضارية، مؤهلة للتنازع والصدام والتصارع بها بين التعدديات الحضارية، أو القطبيات المختلفة.

الصراع الجديد إذن صراع هويات ثقافية أو حضارية وهو الذي سيحكم العلاقات بين البشر، وفي الم يُوصف بأنه مائع ترى الناس (يبحثون عن الهوية والأمان، وعن جذور وصلات لحماية أنفسهم من المجهول)، ومع نهاية الحرب الباردة بدأت الدول في أنحاء العالم تتلمس الطريق نحو التجمع، وتجد هذه التجمعات مع دول لها نفس الثقافة ونفس الحضارة، بمعنى إن السياسة الكونية يعاد تشكيلها الآن على امتداد الخطوط الثقافية، الشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد، الإنحيازات التي تعتمد على الأيديولوجية والعلاقات مع القوى الكبرى تفسح الطريق لتلك التي تعتمد على الثقافة والحضارة، والحدود السياسية يُعاد رسمها لكي تتوافق مع الحدود الثقافية والعرقية والدينية والحضارية، المجتمعات الثقافية تحل محل تكتلات الحرب الباردة، وخطوط التقسيم بين الحضارات تصبح هي خطوط الصراع الرئيسية في السياسة العالمية.

إن فكرة (التصادم) إذن قديمة قدم الوجود الإنساني، وهي تتأثر بشكل أو بآخر بثقافة العصر وبطبيعة العلاقات الدولية في المجتمع الإنساني فضلاً عن تغيرات الفكر العلمي والفلسفي، أما فكرة التصادم في الأدبيات الغربية، الفكرية والسياسية والفلسفية والتي تطرح العلاقة بين الشرق والغرب كونها علاقة تصادمية، أو ستكون كذلك فإنها طرحت كتحصيل حاصل لنظريات أو تصورات تفسيرية تستشرف العلاقة بين الشرق والغرب عامة والإسلام والغرب خاصة، وقد وجدنا أن روجيه غارودي الفيلسوف الفرنسي طرح فكرة التصادم، ولو بشكل سريع، يقول غارودي في مطلع كتابه: (الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها): "إن الأصوليات كل الأصوليات أكانت تقنوقراطية أم ستالينية، مسيحية يهودية أم إسلامية، تشكل اليوم الخطر الأكبر على المستقبل، فانتصاراتها،

في عصر لم يعد لنا فيه الخيار إلا بين الدمار المتبادل والأكيد وبين الحوار، يمكنه أن تحبس كل المجتمعات البشرية في مذاهب متعصبة منغلقة على نفسها، وبالتالي متجهة نحو المصادمة".

الهوامش:

- ¹ حسين علوان حسين: العولمة والثقافة العربية، العولمة والهوية، أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، دار مجدلوي، الطبعة الثانية، الأردن، 2002، ص 116-117.
- ² كمال راشدي: عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون الدولي والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2002، ص 74.
- ³ حسين علوان حسين: العولمة والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 117.
- ⁴ كمال راشدي: عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث، مرجع سابق، ص 75.
- ⁵ صامويل هنتغتون: صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، دار سطور، الطبعة الثانية، مصر، 1998، ص 416-418.
- ⁶ كمال راشدي: عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث، مرجع سابق، ص 75.
- ⁷ محمد علي حوات: العرب والعولمة: شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، مصر 2002، ص 134.
- ⁸ مصطفى شريف: تحليل نقدي لكتاب "صدام الحضارات"، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، أعمال الملتقى الدولي، الجزء الأول، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2003، ص 76.
- ⁹ صامويل هنتغتون: صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي، مرجع سابق، ص 351.
- ¹⁰ مصطفى شريف: تحليل نقدي لكتاب "صدام الحضارات"، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، مرجع سابق، ص 76.
- ¹¹ صامويل هنتغتون: صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي، مرجع سابق، ص 352.
- ¹² مصطفى شريف: تحليل نقدي لكتاب "صدام الحضارات"، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، مرجع سابق، ص 76.
- ¹³ محمد حسن خليفة: المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2003، ص 86.
- ¹⁴ حسين علوان حسين: العولمة والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 117.
- ¹⁵ عديلة مهني بن عودة: تصورات إعلامية ثقافية بين الغرب والمشرق العربي من الإعلام المترجم حول قضايا الأصولية، الصهيونية والسامية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة الجزائر، 2006، ص 141.
- ¹⁶ مصطفى منجود: من خيرات حوار الحضارات، أعمال ندوة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، مصر 2002، ص 49.
- ¹⁷ نفس المرجع السابق، ص 53.
- ¹⁸ السيد ياسين: الكونية والأصولية وما بعد الحداثة: أسئلة القرن الواحد والعشرين، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، مصر، 1996، ص 271.
- ¹⁹ صامويل هنتغتون: صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي، مرجع سابق، ص 119-122.
- ²⁰ رضوان زيادة: رهانات حوار الحضارات بعد 11 أيلول: حوار الذات أولاً، مجلة الكلمة، العدد 37، 2002، ص 36.
- ²¹ الحاج تيطاوني: جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2002، ص 53.

- * وهكذا فهو يعلن بأنه بسقوط الاتحاد السوفيتي (إمبراطورية الشر كما أسماها رونالد ريغان) انتهى التاريخ، وانتهت الأيديولوجية الشمولية وانتصرت الليبرالية السياسية والرأسمالية العالمية.
- ²² محمد شكري سلام: أطروحة نهاية التاريخ بين الفلسفة والإيديولوجية، مجلة فكر ونقد، السنة الرابعة، العدد 34، 2000، ص 143.
- ²³ فيصل الدراج: النظام الدولي الجديد وإيديولوجيا نهاية التاريخ، مجلة الطريق، 1995، ص 63.
- ²⁴ علي عبد الله العليان: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرون: رؤية إسلامية للحوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص 21.
- ²⁵ محمد علي حوات: الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، مصر، 2001، ص 202.
- ²⁶ الحاج تيطاوني: جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر، مرجع سابق، ص 53.
- ²⁷ فيصل الدراج: النظام الدولي الجديد وإيديولوجيا نهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 75.
- ²⁸ فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، مصر، 1993، ص 56.
- ²⁹ سعيد فكرة: أسس الحوار الحضاري: شروطه ومقوماته، حوار الحضارات تواصل لا صراع، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص 400.
- ³⁰ محمد حسن خليفة: المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر، مرجع سابق، ص 91.
- ³¹ علي حرب: حديث النهايات: فتوحات العولمة ومأزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، المملكة المغربية، 2004، ص 96.
- ³² فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، مرجع سابق، ص 56-57.
- ³³ علي حرب: حديث النهايات: فتوحات العولمة ومأزق الهوية، مرجع سابق، ص 97.
- ³⁴ فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، مرجع سابق، ص 302.
- ³⁵ محمد علي حوات: الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية، مرجع سابق، ص 171.
- ³⁶ مسعود ظاهر: مراجعات نقدية لمقولات فوكوياما، مجلة البحرين الثقافية، السنة الرابعة، العدد 16، 1998، ص 197.
- ³⁷ رسول محمد رسول: من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات... قراءة نقدية في مقولة هنتنغتون، دراسة منشورة على شبكة الانترنت شوهدت بتاريخ 2019/03/29، على الساعة: 15:11 عصرا، http://bohothe.blogspot.com/2010/03/blog-post_4052.html#!/tcmcbck
- ³⁸ حيدر إبراهيم: العولمة وجدل الهوية الثقافية، العولمة ظاهرة العصر، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد 28، العدد 02، الكويت، 1999، ص 117-118.